

## في جنوب لبنان، استبدال زراعة التبغ المرّة بالزعر

إن زراعة الزعر هي جزء من رزمة دعم شاملة أطلقتها منظمة العمل الدولية في العام 2008 للمساهمة في تحقيق الإنتعاش الإقتصادي والإجتماعي في منطقة جنوب لبنان التي رزحت تحت وطأة الحرب.

بقلم: فرح دخل الله، مسؤولة الإعلام الإقليمي - المكتب الإقليمي للدول العربية/بيروت

بيروت، لبنان (م ع د/اونلاين) - منذ فترة ليست ببعيدة، كانت مزرعة حسان بزي في جنوب لبنان تشهد كل فصل صيف نموّ موسم خصب جديد من نبتة التبغ ذات الأوراق الخضراء.

إلا أن زراعة التبغ تنطوي على عمل شاق ومكلف، كما قد تهدد صحة المزارع. وبالتالي باتت النبتة التي كان سبق وأطلق عليها بعض المزارعين في هذه المنطقة تسمية "نبتة الصمود"، لقدرتها على توفير المردود النقدي والصمود في وجه عقود من النزاعات، تُعرف شيئاً فشيئاً بـ"النبتة المرّة" نظراً لتحديات زراعة التبغ.

وفي هذا الإطار سعى المزارعون إلى إيجاد بديل لهذه الزراعة، ونجحوا في ذلك. فبمساعدة منظمة العمل الدولية، اختفت اليوم الكثير من "النباتات المرّة" لتحل مكانها عشبة خضراء نضرة تسهل زراعتها وتُعتبر أقل كلفة وتتناسب مع مجموعة واسعة من الأغذية والمأكولات المحلية بما فيها الزعر اللبناني الشهير وهو عبارة عن مزيج من الأعشاب والسماق والسوسم والملح.

وتشكل زراعة الزعر الوجه الجديد لتنمية هذه المنطقة: فزراعة الزعر سهلة واقتصادية، كما أنها لا تؤثر سلباً على الصحة وتتميز برائحة زكية ومذاق لذيذ. وتعزيز زراعة الزعر هو جزء من رزمة دعم شاملة أطلقتها منظمة العمل الدولية بتمويل من صندوق المعافاة اللبناني في العام 2008 للمساهمة في تحقيق الإنتعاش الإقتصادي والإجتماعي في مناطق جنوب لبنان التي تأثرت بحرب تموز 2006.

ويقول حسان: "لطالما أردت أن أنتقل إلى ممارسة زراعة أخرى، لكنني كنت أجهل ما هي البدائل القابلة للإستمرار حتى إقترحت منظمة العمل الدولية على تعاونيتنا المحلية إنتاج الزعر".

ويعود قرار حسان بالتحول إلى زراعة الزعر، إلى انخفاض كلفة هذه الأخيرة وتدني مستوى استهلاكها للمياه والجهود بالمقارنة مع زراعة التبغ. هذا وتُعتبر ذات ربحية أعلى: إذ قد يؤدي استبدال زراعة التبغ بالزعر إلى زيادة سنوية في الدخل بقيمة 850,000 ليرة لبنانية (566 دولار أميركي) للعائلة الواحدة.

إلا أن تنويع المحاصيل وتأمين مبيع المنتجات الجديدة كالزعر لا يزال يشكل تحدياً بالنسبة للمزارعين.

ولا تزال 25,000 عائلة في جنوب لبنان - ما يوازي 60% من سكان المنطقة - تعتمد على قطاع التبغ المدعوم من الدولة، لتأمين لقمة العيش. ونتيجة سياسة دعم الأسعار التي انتهجتها الدولة منذ زمن طويل، يعتبر العديد من سكان المنطقة أن زراعة التبغ تنسجم بضمنان تصريف إنتاجها، وهي توفر للمزارع العادي دخلاً سنوياً يوازي 2,400 دولار أميركي.

ولكن إلى جانب المخاطر الصحية المعروفة لاستهلاك التبغ، قد تترتب عن النبتة المرّة تداعيات إجتماعية واقتصادية خطيرة.

إذ تقع مهمة إنتاج معظم محاصيل التبغ حول العالم على عاتق الأطفال العاملين، ولبنان ليس استثناءً عن هذا الواقع. فقد عمل حسان نفسه البالغ من العمر 41 سنة منذ سن السابعة في مزرعة عائلته التي تمتد على مساحة 8,000 متر مربع. إذاً، غالباً ما تكون زراعة التبغ، صنعة عائلية، مما يؤدي إلى إخراج الأطفال من المدارس وتشغيل المرأة فوق طاقتها. في الواقع يبلغ العدد التقديري للأطفال العاملين في لبنان 100,000 طفل، ثلثهم يعمل في مزارع التبغ.

إلى هذا، تنسجم زراعة التبغ بأنها قائمة على كثافة اليد العاملة وبأنها متعبة. إذ يتحمل الرجال والنساء والأطفال الذين يعملون في مزارع التبغ ساعات طويلة من العمل الشاق والمضني ويتعرضون للنيكوتين والمبيدات.

بالإضافة إلى ذلك، تؤدي هذه الزراعة إلى تدهور البيئة، إذ تساهم عملية استخدام الأخشاب لمعالجة التبغ في إزالة الأحرار؛ كما تؤدي المبيدات إلى تلوث التربة والموارد المائية؛ أضف إلى ذلك الحاجة الكبيرة إلى مياه الري التي تؤدي إلى استنزاف احتياطي المياه.

وإلى جانب مساهمة برنامج دعم منظمة العمل الدولية في تحقيق اقتصاد أخضر، يسعى هذا البرنامج إلى مساعدة المناطق الريفية في جنوب لبنان على التعافي من حرب تموز 2006.

ومن خلال الشراكة مع 12 تعاونية، نجحت منظمة العمل الدولية في تدريب أكثر من 110 منتج في 28 قرية، على إعداد التربة وزراعة الزعتر، كما وفرت لهم البذور ومعدات الري. هذا وتم استخدام نباتات الزعتر كزهور عطرية لتغذية خلايا النحل التي يربّيها النحالين القريبيين المستفيدين بدورهم من دعم المنظمة.

وإلى جانب زراعة الزعتر، يشمل برنامج منظمة العمل الدولية دعم زراعة أشجار الزيتون وتربية النحل والماشية وصيد الأسماك، بالإضافة إلى تدريب الأشخاص ذوي الإعاقة من أجل دمجهم في القوى العاملة، وبناء قدرات النقابات والبلديات والتعاونيات وتقديم التسهيلات الإئتمانية البالغة الصغر.

ويعلن حسان: "خلال الحرب تعرض منزلنا للدمار وحُرق حصادنا، لذا رحبنا بمساعدة منظمة العمل الدولية. في البداية زرع كلّ منا دونم واحد (1000 متر مربع) كتجربة. وأنا اليوم أزرع موسمي الثالث وقد كرس نصف أرضي - أربعة دونمات - لزراعة الزعتر".

\*\*\*